وليس دين الله بالمعضى [1] ويقال فرقوا القول فيه فقالوا شعرٌ ، وقالوا سحرٌ ، وقالوا كهانة ، وقالوا أساطير الأولين وقال عكرمة العضهُ السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة وفى الحديث «لعن رسول الله ﷺ العاضهة والمستعضهة» (فَاصْدَعْ بما تؤمر) أى أظهر ذلك وأصله الفرق والفتح يريد اصدع الباطل بحقك (حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) أى الموت

﴿ غريب سورة النحل ومشكلها ﴾

(أَتَى أَمْرُ اللهِ فلا تَسْتَعْجِلُوهُ) يعنى القيامة أى هى قريب فلا تستعجلوا وأتى بمعنى يأتى وهو كما يقال أتاك الخير فأبشر أى سيأتيك (يُنَزِّلُ الملائكة بالرّوح) أى بالوحى (الدفءُ) ما استدفأت به يريد ما يتخذ من أوبارها من الأكسية والأخبية وغير ذلك (وَلَكُمْ فِيها جَمَال حينَ تُرِيحون) إذا راحت عظامَ الضروع والأسنمة فقيل هذا مال فلان (وحين تَسْرَحُون) بالغداة يقال سرحت الابل بالغداة وسرحتها (بِشِقِّ الانْفُسِ) أى بمشقة يقال نحن بشق من العيش أى بجهد وفى حديث أم زرع « وجدنى فى أهل غنيمة بشق » (وَمِنْها جائرٌ) أى عن الطريق جائر لا يهتدون فيه والجائر العادل عن القصد (مَاءً لَكُمْ مِنْه شَرابٌ ومِنهُ شَجَرٌ) يعنى المرعى قال عكرمة لا تأكل ثمن الشجر فانه سحت

---

(٢) أى المجزء . قال فى شواهد الكشاف : عضين ، أى أجزاء

يعنى الكلأ (وفيه تُسيمونَ) أى ترعون يقال أسمت إبلى فسامت ومنه قيل لكل مارعى من الأنعام سائمة كما يقال راعية (وَتَرى الفُلْكَ) أى السفن (مَوَاخِرَ فِيهِ) أى جوارى تشقُّ الماء يقال مخرت السفينة ومنه مخر الأرض إنما هو شق الماء لها (وَأَلْقَى فى الأَرْضِ رَوَاسِيَ) أى جبالاً ثوابتَ لا تبرح وكل شىءٍ ثبت فقد رسا (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) أى لئلا تميد بكم الأرض والميد الحركة والميل ومنه يقال فلانٌ يميد فى مشيته إذا تكفأ (وما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) أى متى يبعثون (قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) أى أخبارهم وما سطر منها أى كتب ومنه قوله ـ ن والقلم وما يسطرون ـ أى يكتبون واحدها سطرٌ ثم أسطار ثم أساطير جمع الجمع مثل قول وأقوال وأقاويل ﴿قال أبو محمد﴾ وأبو عبيدة رحمة الله علينا وعليهما جعل واحدها أسطورة وأسطارةً قال ومعناها الترهات البسابس وهو الذى لانظام له وليس بشىء صحيح (فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ) أى من الأساس وهذا مثل أى أهلكهم الله كما أهلك من هدم مسكنه من أسفله فَخَرَّ عَلَيْهِ (فَأَلْقُوا السَّلَمَ) أى انقادوا واستسلموا والسلم الاستسلام (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) الكتب جمع زبور (أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) أى على تنقص ومثله التخوُّر يقال تخوفته الدهور وتخونته إذا نقصته وأخذت من ماله أو جسمه (يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) أى تَدُورُ ظِلاَلُه وترجع من جانب إلى جانب والفَيْءُ الرجوع ومنه قيل للظلِّ بالعشىِّ فيءٌ لأنه فاءَ عن المغرب إلى المشرق (سُجَّداً للهِ) أى

مستسلمة منقادة ﴿ش﴾ قال أبو محمد تفيؤ الظلال رجوعها من جانب إلى جانب فهى مرة تجاه الشخص ومرة وراءه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله ومنه الفئ فى الايلاء إنما هو الرجوع إلى المرأة وأصل السجود التطاطؤ والميل يقال سجد البعير وأسجد إذا طؤطىء ليُركب وسجدت النخلة إذا مالت قال لبيد يصف نخلا :

* غُلْبٌ سَوَاجِدُ لم يدخل بها الحصر [1] *

والغلب الغلاظ الأعناق والسواجد الموائل ومن هذا قيل لمن وضع جبهته بالأرض ساجد لأنه تطامن فى ذلك ثم يستعار السجود فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذلّ كما يستعار التطاطؤ والتطامن فيوضعان موضع الخضوع والانقياد والذل فيقال تطامن للحق أى اخضع له وتطاطأ لها بخطئك أى تذلل لها ولا تعزز ومن الأمثال المبتذلة اسجد للقرد فى زمانه يرجع . اخضع للسفيه واللئيم فى دولته . ولا يراد معنى سجود الصلاة وقال الشاعر

بجمع تضلُّ البلقُ فى حجراته ترى الأكْمَ منه [2] سجَّداً للحوافر

يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكم وَوَطِئَتْهَا حتى خشعت وانخفضت ومن خلق الله المسخر المقصور على فعل واحدٍ كالنار شأنها الاحراق والشمس والقمر شأنهما المسير والليل والنهارُ دائبين والفلك المسخر للدوران

---

(١) صدره : بين الصفا وخليج العين ساكنة

(١) فى اللسان : ترى الأكم فيها .

ومنه المسخر لمعنيين ثم هو مخيَّرٌ بينهما كالانسان فى الكلام والسكوت والقيام والقعود والحركة والسكون والشمس والظل خلقان مسخران لأنه يعاقب كل واحد منهما صاحبه بغير فصل والظلُّ فى أول النهار قبل طلوع الشمس يعم الأرض كما تعمها ظلمة الليل ثم تطلع الشمس فتعم الأرض إلا ماسترته الشُّخُوصُ فاذا ستر الشمس شيء عاد الظل فرجوع الظل بعد أن كان شمسا ودورانه من جانب إلى جانب هو سجوده لانه مستسلم منقادٌ مطيعٌ بالتسخير وهو فى ذلك يميل والميل سجود وكذلك قوله عز وجل ـ والنَّجْمُ والشَّجرُ يسجُدَانِ ـ أى يستسلمان لله تعالى بالتسخير وقوله ـ ولله يَسْجُدُ مَنْ فِى السّمواتِ والأرض طَوْعًا وكَرْهًا وظلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ ـ أى يستسلم من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من المؤمنين طوعا ويستسلم من فى الأرض من الكافرين كرها وظلالهم بالغدو والآصال مستسلمة وهو مثل قوله ـ ولَهُ أسْلَمَ من فى السّموَاتِ والأرْض طَوْعًا وكَرْهًا وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ ـ ﴿غ﴾ (وهُمْ دَاخِرُونَ) أى صاغرون يقال دَخَرَ لله (ولَهُ الدِّينُ وَاصبًا) أى دائمًا والدين الطاعة يريد أنه ليس من أحدٍ يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة غير الله فان الطاعة تدوم له (وإلَيْهِ تَجْأَرُونَ) أى تضجون بالدُّعاء والمسألة يقال جأر الثور يجأر والضرُّ البلاء والمصيبة (ويَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) هذا مما كانوا يجعلونه لآلهتهم من الحظ فى زروعهم وأنعامهم وقد ذكر فى سورة الأنعام (ويَجْعَلُونَ لله البَنَاتِ

سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) يعنى البنين (وهُوَ كَظِيمٌ) أى حزين قد كظم فلا يشكو مابه (أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ) أى على هوان (أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ) أى يبيده (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى) شهادة أن لا إله إلا هو (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) من البنات (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى) أى الجنة ويقال البنين (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) أى معجلون إلى النار يقال فرط منى مالم أحسبه أى سبق والفارط المتقدم إلى الماء لاصلاح الأرشية والدلاء حتى يرد القوم وأفرطته أى قدمته (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ) ذهب إلى النعم والنعم تذكر وتؤنث والفرث مافى الكرش قوله (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ) لأن اللبن كان طعاماً فخلص من ذلك الطعام دمٌ وبقى منه فرث فى الكرش وخلص من الدم لبنٌ (سائِغاً لِلشَّارِبِينَ) أى سهلا فى الشرب لايشجى بهشاربه ولا يغصُّ (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً) أى خمراً ونزل هذا قبل تحريم الخمر (وَرِزْقاً حَسَناً) يعنى التمر والزبيب . وقال أبو عبيدة السكر الطعم قال ولست أعرف هذا التفسير (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) أى ألهمها وقيل سخرها والوحى يكون كلاماً ويكون إلهاماً وإشارةً وتسخيراً ورسالة وإيماء وإعلاماً كما مر فى سورة المائدة (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) كلُّ شىء عرش من كرم أو نبات أو سقف فهو عرشٌ ومعروش (ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) أى من الثمرات وكلٌّ هاهنا ليس على العموم ومثل هذا قوله ـ تدمِّرُ كلَّ شىءٍ بأمر ربِّها ـ (فاسلكى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا) أى منقادةً بالتسخير وذلل جمع ذلولٍ (وَمِنْكُمْ مَنْ

يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ) وهو الهرم لأن الهرم أسوأ العمر وشره (لِكَيْلاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) أى حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً لشدّةِ هرمه (واللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ فى الرِّزقِ) يعنى فضل السادة على المماليك (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا) يعنى السادة (بِرَادِّى رِزْقِهِمْ على مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فيه سَوَاءٌ) أى لا يجعلون أموالهم لعبيدهم حتى يكونوا والعبيد فيها سواء وهذا مثل ضربه الله لمن جعل له شريكا من خلقه (بَنِينَ وَحَفَدَةً) الحفدة الخدم والأعوان ويقال هم بنون وخدم ويقال الحفدة الأصهار وأصل الحفد مداركة الخطو والاسراع فى المشى وإنما يفعل هذا الخدم فقيل لهم حفدة واحدهم حافد مثل كافرٍ وكفرةٍ ومنه قيل فى دعاء الوتر وإليك نسعى ونحفد قوله (ويعبدُون مِنْ دُونِ اللهِ مَالا يَمْلِكُ لهمْ رِزْقا منَ السَّموَاتِ والأرض شَيْئًا) ونصب شيئا بإيقاع رزق عليه أى يعبدون مالا يملك لهم أن يرزقهم شيئا كما تقول هو يخدم مَنْ لا يستطيع إعطاءه درهما ﴿ ش ﴾ (ضرب اللهُ مثلاً عبْدًا مملُوكًا لا يقْدِرُ على شىءٍ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن جعل إلهاً دونه أو معه لأنه عاجزٌ مدبَّرٌ مملوكٌ لا يقدر على نفع ولا ضرٍ ثم قال (ومنْ رزقْناهُ منَّا رزقًا حسنًا فهُو يُنْفِقُ منْهُ سِرًّا وجهْرًا هلْ يستوُون) فهذا مثله جلّ وعزّ لأنه الواسع الجواد القادر الرزاق لعباده جهراً من حيث يعلمون وسرًّا من حيث لا يعلمون . وقال بعض المفسرين هو مثل للمؤمن والكافر والعبد هو الكافر والمرزوق هو المؤمن ﴿ قال أبو محمد ﴾ والتفسير الأول أعجب

إلىّ لأن المثل توسّط كلامين هما لله عز وجل أما الأول فقوله ـ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ـ فهذا لله ومن عبد من دونه وأما الآخر فقوله بعد انقضاء المثل (الحمد لله بلْ أكثرهم لا يعلمون) ولأنه ضرب لهذا المعنى أيضاً مثلا آخر يعقب هذا الكلام فقال (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) أى أخرس (لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ) أى عيال وثقل على قرابته ووليّه (أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ) فهذا مثل آلهتهم لأنها بكمٌ صمٌ عميٌ ثقلٌ على من عبدها فى خدمتها والتعبد لها وهى لا تأتيه بخير ثم قال (هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فجعل المثل لنفسه ﴿غ﴾ (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً) يعنى قباب الأدم وغيرها (تَسْتَخِفُّونَهَا) فى الحمل (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) يوم سفركم (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) (والأثاث) متاع البيت من الفرش والأكسية قال أبو زيد واحد الأثاث أثاثة (واللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً) أى ظلال الشجر والجبال (والسَّرَابِيلُ) القمص (تَقِيكُمُ الحرَّ) والبَرْد فاكتفى بذكر أحدهما إذ كان يدل على الآخر كذلك قال الفراء (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) يعنى الدروع تقيكم بأس الحرب (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ) أى يعلمون أن هذا كله من عنده ثُمَّ يُنْكِرُونَ ذلك بأن يقولوا هو شفاعة آلهتنا (الانكاث) ما نقض من غزل الشعر وغيره واحدها نِكْثٌ يقول لا تكونوا على أنفسكم الايمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا

فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك النسج فجعلته أنكاثاً ﴿ وقال فى المشكل ﴾ (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً) الآية هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن عاهده وحلف به فقال تعالى (أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلاً وقوّت مِرّته وأبرمته فلما استحكم نقضته فجعلته أنكاثا والأنكاث مانقض من أخلاف بيوت الشعر والوبر ليغزل ثانية ويعاد مع الجديد وكذلك مانقض من خلف الخز ومنه قيل لمن أعطاك بيعته على السمع والطاعة ثم خرج عليك ناكث لأنه نقض ما كان أكَّدَ على نفسه بالأيمان والعهود كما تنقض الناكثة غزلها ثم قال عز وجل (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) أى دَغَلاً وَحِيلاً (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أى لأن يكون قوم أغنى من قوم وقوم أعلى من قوم (تريدون) أن تقتطعوا بأيمانكم حقوقا لهؤلاء فتجعلوها لهؤلاء وقال المفسرون والتى نقضت غزلها هى امرأة من قريش وكانت حمقاء تغزل الغزل من الصوف أو الشعر والوبر بمغزل فى غلظ الذراع وصنارة فى قدر الأصبع وفلكة عظيمة فاذا أحكمته أمرت خادمها فنقضته ﴿ غ ﴾ (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) أى دغلاً وخيانة (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أى أغنى من فريق (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) لم يرد أنهم بابليس كافرون ولو كان هذا هكذا كانوا مؤمنين وإنما أراد الذين هم من أجله مشركون بالله وهذا كما يقال

صار فلان بك عالما أى من أجلك (وإذا بدَّلنا آيةً مكانَ آيةٍ) أى نسخنا آيةً بآيةٍ (يُلْحِدُونَ إليْهِ) أى يؤمنون ويزعمون أنه يعلمك وأصل الالحاد الميل (ولَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صدراً) أى فتح له صدره بالقبول (يَوْمَ تأتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها) أى يأتى كل انسان يجادل عن نفسه غداً (رَغَدًا) كثيراً واسعاً (وعَلى الَّذِينَ هادُوا) اليهود (كانَ أُمَّةً) أى معلما للخير يقال فلان أمَّةٌ وقد مرّ هذا فى المشكل فى البقرة ومن الاستعارة قوله عز وجل (فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجُوعِ والْخَوْفِ بما كانوا يَصْنَعُون) قال أبو محمد أصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار ومنه يقال فى الكلام ناظر فلانا وذق ماعنده أى تعرّف واختبر واركب الفرس وذقه قال الشماخ فى وصف قوس

فذاق وأعطته من اللين جانباً ... كفى ولها أن يفرق البهم حاجز[1]

يريد ذاق القوس بالنزع فيها ليعلم ألينة هى أم صلبة . وقال الآخر

وإن الله ذاق حلُومَ قَيْسٍ ... فلمّا زأى خِفَّتَها قَلاَهَا

وهذه الآية نزلت فى أهل مكة وكانوا آمنين بها لا يغار عليهم مطمئنين لا ينتجعون ولا ينتقلون فأبدلهم الله بالأمن الخوف من سرايا رسول الله وبعوثه وبالكفاية الجوع سبع سنين حتى أكلوا القدّ والعظام ـ ولباس الجوع والخوف ـ ما ظهر عليهم من سوء آثارهما بالضمور والشحوب ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال وقال فى موضع آخر (ولَباس

(١) قال فى اللسان : كفى ولها أن يفرق النبل حاجز .